هوامش على ومضة (إنكارٌ) لعصام الشريف

أ. د. بهاء الدين محمد مزيد

جامعة سوهاج، مصر

إنكار

في سردابي سرتُ منحنيًا على شمعتي أقيها ريحَه، فَتُضِيئُه، عند نهايتِه سرتُ مُنتصبًا..

تمنح ومضة "إنكار[4]" أهميّة خاصّة للمكان من خلال تقديم شبه الجملة "في سردابي" على بقيّة أركان الجملة المركّبة. ثم يكون التعارض البليغ بين "سرت" وهو فعل حركة إيجابي مثبت حقيقي والحال "منحنيًا" وفيه سلب وتنازل. هو تنازل له ما يبرّره في الجملتين "أقيها ريحه" - والهاء فيها تعود على "السرداب" - و"فتضيئه" - والهاء فيها تعود على المضمر ذاته والفاعل المستتر هي يعود على الشمعة. وبين الجملتين فاء مراوغة ماكرة قد تكون سببية، حيث يدفع المتكلّم الريح عن شمعته لكي تضيء السرداب، وقد تفيد الترتيب مع السرعة والتعقيب. في الجملة الثانية يواصل المتكلّم السير لكن بعد أن انتصب. تبدأ هذه الجملة كذلك بشبه الجملة "عند نهايته" والهاء فيها تعود على السرداب.

[4] عصام الشريف. أطياف ومرايا. الكتاب الرابع في سلسلة ومضات قصصية. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، مايو 2015. ص 28.

عودة شبه الجملة إلى بداية الجملة الثانية تحقّق التماسك بين جزأي الومضة. وكذلك يفعل تكرار فعل "سرت" وتكرار بنية الفعل الماضي متبوعا بحال مفرد – "سرت منحنيا" و"سرت منتصبا". ومن أسباب الترابط كذلك هيمنة المتكلّم في النّص على الأحداث جميعا. فالسرداب منسوب إليه وكذلك الشمعة وهو الذي يسير في الحالتين "منحنيا" و"منتصبا" وهو الذي يدفع الريح عن الشمعة فتضيء السرداب.

وفي الومضة على قصرها توتّر وصراع يجلّيه الطباق بين "سرت منحنيا" و"سرت منتصبا" وبين "سردابي" و"ريحه" من جهة و"شمعتي" و"تضيئه" من الجهة الأخرى. لم ينغلق السرداب ولا فارقته الرّيح، غير أنّ السائر فيه قد انتصب واقفا بعد انحناء مؤقّت. وفي كثافة الضمائر المتّصلة والمستترة في منتصف الومضة - "أقيها ريحَه، فَتُضِيئُه" – ما يكشف عن جانب مهمّ في الصراع والتوتّر فالسائر في السرداب – وهو بناء تحت الأرض - يدفع الرّيح عن الشمعة ليضيء السرداب. الرّيح هي عدوهم جميعا - هو وسردابه وشمعته. ترمز الرّيح في كثير من السياقات إلى تقلّبات الحياة ومنغصاتها وعقباتها.

تستدعي "الشمعة" مقولة شعبيّة دارجة هي "داري على شمعتك تقيد" وتستدعي الريح والانحناء معا نصيحة قديمة جديدة تحبّذ "الانحناء للرّيح حتّى تمرّ". لكن الومضة لا تقف عند حد اجترار المقولة ولا النصيحة فهي

تسلّط الضوء الخاطف الكاشف على الذات، ومن خلال تكثيف الضمائر تنقل التوتّر إلى الداخل – السرداب سرداب المتكلّم، والشمعة شمعته، والنهاية نهاية السرداب، وهو الذي يسير منحنيا إلى أن ينتصب، ويقي الشمعة ريح السرداب علّها تضيئه. لعلّها الروح في انفلاتها من العوائق التي تعطّلها أو القلب وهو يحتال لينجو من الفخاخ المنصوبة أو العقل وهو يراوغ الشراك المشرعة تريد أن تصطاده، أو هي "الذات" وهي تنكر "ذاتها" مؤّقتا لتنجو – أو هؤلاء جميعا.